

## من إدلب إلى دمشق

## قصة مسيرة

أسامة شيخ علي\*

ملخص: يتناول هذا البحث التحولات التي شهدتها إدلب منذ 2011 حتى سقوط نظام الأسد في ديسمبر/ كانون الأول 2024. ينطلق البحث من تتبع الخلفيات التاريخية والاجتماعية لإدلب، ثم يحلل صعود هيئة تحرير الشام وتحولات قيادتها ودورها في إعادة صياغة المشهدين العسكري والسياسي، ويستعرض أيضاً طبيعة التحالفات والتنافس بين الفصائل، والعوامل الإقليمية والدولية التي أسهمت في جعل إدلب «درع الثورة الأخير». وفي النهاية يسلط الضوء على حملة «عملية ردع العدوان»، التي انطلقت من إدلب وانتهت بإسقاط النظام في دمشق. يُظهر هذا البحث كيف شكّلت إدلب نموذجاً لفهم مجمل المسار الثوري السوري وتعقيداته، ومن ذلك مساعي بناء نموذج للحكم المحلي، وفرص إعادة هيكلة الدولة على أسس جديدة.

\* مركز عمران،  
سوريا

الكلمات المفتاحية: إدلب، ردع العدوان، دمشق، الشرع، الأسد

## From Idlib to Damascus: The Story of the Revolution

OSAMA ŞEYHALI\*

ORCID NO: 0000-0003-1289-1376

**ABSTRACT:** This research examines the transformations that Idlib has undergone from 2011 until the fall of the Assad regime in December 2024. It begins by tracing the historical and social backgrounds of Idlib, then analyzes the rise of Hay'at Tahrir al-Sham, its leadership shifts, and its role in reshaping the military and political landscape. The study also explores the nature of alliances and rivalries among factions, as well as the regional and international factors that contributed to making Idlib the "last shield of the revolution." Finally, it highlights the "Operation Deterrence of Aggression" campaign, which originated in Idlib and culminated in the fall of the regime in Damascus. This research demonstrates how Idlib served as a model for understanding the overall trajectory of the Syrian revolution and its complexities, including efforts to establish a model of local governance and opportunities for restructuring the state on new foundations.

**Keywords:** Idlib, Deterrence of Aggression, Damascus, Al-Sharaa, Al-Assad

\* Omran Center,  
Syria

رأبسة تركبسة  
2025-(1/14)  
09 - 22

Received Date: 02 / 01 / 2025 • Accepted Date: 11 / 02 / 2025

## المقدمة

شهدت الساحة السورية تحولات جوهرية منذ اندلاع الثورة السورية في عام 2011، حيث كانت إدلب إحدى أهم المناطق التي خاضت معارك حاسمة ضد النظام السوري، وأضحت مسرحاً لتحولات جوهرية وضعت أسساً جديدة لمعنى الحراك الشعبي في سوريا. قبل اندلاع شرارة الاحتجاجات، عُرفت إدلب بتكوينها الاجتماعي الريفي وثقلها الزراعي، فضلاً عن موقعها الحدودي مع تركيا الذي منحها أهمية إستراتيجية في مختلف المراحل السياسية للدولة السورية. ومع تصاعد موجة الحراك السلمي في بدايات الثورة برز الدور المركزي لإدلب في احتضان تيارات ثورية متبينة، ولاحقاً مع إعادة النظام سيطرته على معظم الأرياف والمدن السورية المحررة الواحدة تلو الأخرى، من حلب إلى غوطة دمشق فدرعا وحمص ودير الزور- وجدت فصائل المعارضة بشقيها السلمي والمسلح في إدلب بيئة حاضنة ومساحة؛ لإعادة تنظيم صفوفها وتأكيد مطالبها بمواجهة النظام.

ومع تزايد الضغط الأمني والعسكري، خضعت إدلب لسلسلة من التغيرات في السلطات المحلية والفصائل المسلحة، وهذا أدى إلى نشوء حالة من التنافس بين المجموعات الثورية، كما برزت فيها تحالفات وظواهر جديدة تعكس التلاقح بين العوامل الداخلية والتدخلات الخارجية. اتخذت هذه الفصائل في البداية طابعاً متنوعاً؛ فمن القوى ذات المرجعيات الوطنية المنبثقة من الجيش الحر، مروراً بالتنظيمات الإسلامية الجهادية، وصولاً إلى فصائل ذات توجهات إسلامية وطنية أو محلية سعت إلى ترسيخ نفوذها على الأرض.

في خضم هذا الواقع المعقد، صعدت «هيئة تحرير الشام» من كونها اندماجاً لجماعات مسلحة ذات جذور جهادية إلى كيان منظم ذي خطاب براغماتي، استطاع الاستفادة من عوامل محلية ودولية لتثبيت أقدامه. وقد شكلت هذه النقلة النوعية للهيئة تحولاً جذرياً في إدارة الشؤون الأمنية والإدارية لإدلب، وهذا أسهم في إعادة تشكيل الفضاء الثوري داخل المحافظة. ومع تراجع سلطة الفصائل الأخرى، تحوّلت إدلب تدريجياً إلى معقل رئيس للثوار والمعارضة المسلحة، وتمكنت من أداء الدور المتقدم في معركة تحرير دمشق.

تركز هذه الورقة على استعراض المراحل المفصلية التي سبقت تحرير دمشق عبر

ثلاثة محاور رئيسة: أولاً، تتبّع المسار التاريخي والسياسي لإدلب منذ 2011، مع إبراز الخصائص الاجتماعية والاقتصادية التي جعلتها أرضاً خصبة لتصاعد المقاومة الشعبية. ثانياً، دراسة التطورات الداخلية في المحافظة، بما في ذلك تبدّل السلطات وتنوع الفصائل. ثالثاً، استعراض الدور المحوري الذي أدته إدلب في عملية التحرير، وصولاً إلى إسقاط نظام الأسد في ديسمبر 2024. من خلال هذا الطرح، نسعى إلى فهم الآليات المعقدة التي شكّلت مسار التحرير من إدلب إلى دمشق، وكيف انعكست على موازين القوى في سوريا، فضلاً عن استخلاص الدروس الممكنة لمرحلة إعادة البناء والمصالحة الوطنية.

### إدلب.. تاريخ من العدا مع نظام الأسد

منذ اندلاع الثورة في سوريا عام 2011، برزت إدلب كإحدى أكثر المحافظات نشاطاً في الحراك السياسي والشعبي، حيث شهدت مدن المحافظة وبلداتها وقراها مظاهرات حاشدة ضد نظام الأسد، وتحوّلت تدريجياً إلى ساحة محورية للصراع. هذه المكانة المميزة لم تأت من فراغ؛ إذ يمكن ردُّ جذورها إلى مجموعة من العوامل التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي جعلت من إدلب بيئةً مهيأةً لظهور حركات المقاومة الشعبية، وتوفير حاضنة مجتمعية مساندة للثورة. ترافق هذا الدور المحوري مع مسار معقّد من التحوّلات الداخلية والتدخلات الإقليمية، وهذا جعل إدلب تختزل كثيراً من تعقيدات الثورة السورية وتحوّلاتها.

عانت محافظة إدلب شأنها شأن كثير من المحافظات السورية الطرفية على مدى عقود- تهميشاً تنموياً واضحاً بالمقارنة مع المدن الكبرى، مثل دمشق وحلب، حيث غابت عنها المشروعات الاستثمارية الكبرى والاهتمام الحكومي الكافي في قطاعات التعليم والصحة والزراعة. وعلى الرغم من خصوبة أراضيها واشتغالها بزراعة الزيتون والفسق الحلبي، فإن غياب الخطط الزراعية الحديثة وارتفاع معدلات البطالة وفقير البنية التحتية أسهم مجتمعاً في خلق شعور متنامٍ بالظلم الاجتماعي لدى سكان المحافظة. وعندما اندلعت الاحتجاجات السلمية في مدنٍ مثل درعا وحمص، انتقلت عدواها سريعاً إلى إدلب التي تحمّل أهلها عبئاً كبيراً خلال سنوات الثورة، وكان الأثر التاريخي الثقيل لمعاناتهم حكّم عائلة الأسد منذ عهد حافظ الأسد عنصراً حاسماً في إصرار الأهالي على الصمود والمقاومة حتى تحرير دمشق والإسقاط المدوّي للنظام في 8 ديسمبر/ كانون الأول 2024. لا يُعدّ انضمام إدلب للثورة في 2011 بدايةً معارضتها لحكم آل الأسد،

إذ ترجع جذور المعارضة إلى عهد حافظ الأسد الذي مارس أشد أنواع القمع والتنكيل بأهلها في ثمانينيات القرن الماضي، بالإضافة إلى تدمير مدنها وبلداتها وتوظيف الدعاية السياسية في وصم سكانها بالإرهاب والتخلف، رغم ما تتمتع به المنطقة من تنوع ثقافي وأهمية تراثية ورمزية؛ لتنوعها الحضاري واحتوائها على مواقع أثرية مهمة، حيث تُعدّ مدينة معرة النعمان بمكتباتها ومعالمها الأدبية مثلاً حياً على الدور الحضاري المرموق الذي اضطلعت به المحافظة، كما يزخر ريف إدلب بمواقع أثرية تعود إلى العصور الرومانية والبيزنطية.<sup>1</sup>

مع بداية الثورة، أسهم موقع إدلب الحدودي مع تركيا في جعلها رئة للحركة الاحتجاجية التي كانت تتعرض لضغوط شديدة في باقي المحافظات؛ إذ أتاحت هذه الحدود مسارات لإدخال المواد الغذائية والطبية، وسهّلت في الوقت ذاته حركة الناشطين الثوريين دخولاً وخروجاً، وهذا أدى إلى رفا الحراك بمزيد من الزخم والدعم. علاوة على ذلك، أسهمت سياسة الانفتاح التي انتهجتها الحكومة التركية تجاه الثورة السورية في توفير هامش للمعارضة من حيث استقبال الجرحى والنازحين، فضلاً عن إمكانية استقدام المعونات الإنسانية، وهو ما ساعد إدلب على تحمّل العبء المتزايد لآثار الحرب. لكن في الوقت نفسه، فتح الموقع الحدودي باباً واسعاً لتدخلات إقليمية ودولية متباينة المصالح، لتتحول إدلب تدريجياً إلى ساحة لتصفية حسابات خارجية انعكست على تمزق المشهد الفصائلي في المحافظة.

### من التظاهر السلمي إلى الكفاح المسلح

في بداية الحراك الشعبي، اتخذت الاحتجاجات في إدلب كما في باقي المحافظات طابعاً سلمياً، من خلال تنظيم تظاهرات يومية في الساحات العامة، شارك فيها طلاب الجامعات والموظفون وأصحاب المهن المختلفة. غير أن العنف المتزايد الذي جُوبهت به هذه المظاهرات على المستوى الوطني عجل بتحول إدلب نحو التسليح، وبخاصة مع نهاية عام 2011 وبداية 2012، حين ظهرت مجموعات عسكرية صغيرة في ريف إدلب تشكلت أساساً من منشقين عن الجيش النظامي ومتطوعين من المدنيين لإسقاط النظام. استفادت تلك المجموعات من التضاريس الريفية والجبلية، فحرّرت مناطق واسعة داخل المحافظة، وأنشأت مجالس محلية في عدد من القرى والبلدات مستندة إلى الشرعية الثورية. مع توافد الدعم العسكري للفصائل شكّلت غرف عمليات دولية لتنسيق الدعم العسكري للمعارضة في تركيا والأردن باسم «الموم» و«الموك»، ونظرًا لموقعها

الجغرافي ووجود مَعبر باب الهوى الحدودي البري <sup>٩</sup> المشهد الإدلبي كان يعجّ بفصائل متباينة التوجّهات، من فصائل محلية ووطنية إلى إسلامية متشدّدة. بدأ بعض تلك الفصائل يتلقى دعماً مالياً ولوجستياً من جهات إقليمية ودولية. <sup>٦٦</sup>

مع تركيا أصبح لإدلب دور رئيس في استقبال السلاح وتوزيعه في معظم المناطق الثائرة بسوريا، وجرى إنشاء المقر الرئيس لـ «هيئة أركان الجيش السوري الحر» في منطقة باب الهوى، وهي التي كانت مسؤولة عن توزيع السلاح على فصائل المعارضة العسكرية المعتدلة في شمال البلاد ووسطها. <sup>2</sup> مع اشتداد المعارك وفي بدايات 2015 أضحى إدلب أول مركز محافظة يتحرر بالكامل باستثناء قريتي «كفريّا» و«الْفُوعَة»، بعد توحد فصائل معارضة مسلحة في غرفة عمليات مشتركة عُرفت بغرفة عمليات «جيش الفتح»، التي ضمّت فصائل: جبهة النصرة، وأحرار الشام، وصقور الشام، وأجناد الشام، وفيلق الشام، وجيش السُنّة، ولواء الحق. <sup>3</sup>

بيد أن التعدّد الفصائلي سرعان ما أفضى إلى تنافس وصراع على الموارد والنفوذ. المشهد الإدلبي كان يعجّ بفصائل متباينة التوجّهات، من فصائل محلية ووطنية إلى إسلامية متشدّدة. بدأ بعض تلك الفصائل يتلقى دعماً مالياً ولوجستياً من جهات إقليمية ودولية، وهذا أدّى إلى اختلال ميزان القوى بينها. في هذا السياق، برزت «جبهة النصرة» (لاحقاً جبهة فتح الشام) منذ 2012، مستفيدة من الأيديولوجيا الجهادية العابرة للحدود والدعم الخارجي. وأثار صعود النصرة تساؤلات حول إدارة المناطق «المحررة»، وحدود التعايش مع الفصائل الأخرى، مثل كتائب الجيش الحر وأحرار الشام وغيرهما.

### التحالفات المتقلّبة وصراع النفوذ

شهد منتصف عام 2016 -تحديدًا شهر يوليو/ تموز- بداية التحوّل في مسار جبهة النصرة «الجهادية» وقائدها أبي محمد الجولاني الذي ظهر كاشفًا وجهه للمرة الأولى منذ إعلان تأسيس الجبهة في 24 يناير/ كانون الثاني 2012. <sup>4</sup> حيث أعلن الجولاني حلّ جبهة النصرة، وتشكيل جماعة جديدة باسم «جبهة فتح الشام»؛ «نزولاً عند رغبة أهل الشام؛ لدفع ذرائع المجتمع الدولي، وخاصة روسيا والولايات المتحدة، وتجنب ضرباتها، ولتقريب المسافات بين الفصائل». <sup>5</sup> مثل هذا التاريخ بداية مرحلة «توطين الجهاد»، وفك الارتباط مع تنظيم القاعدة، وفقًا لما أعلنه الجولاني، الذي أكد أن تنظيمه الجديد يسعى إلى التوحد مع الفصائل لتحرير الشام، والقضاء على النظام وأعوانه. <sup>6</sup> إلا أن حدّة التوترات تفاقمت بين الفصائل الإسلامية الوطنية، مثل أحرار الشام وبعض

فصائل الجيش الحر، وبين جبهة فتح الشام، في ظلّ سعي الأخيرة إلى توسيع نفوذها، وبسط سيطرتها على محافظة إدلب. أدّت هذه الصراعات الداخلية إلى حالة من الإرباك في الإدارة المدنية، وتراجع نسبي لشعبية الحراك المسلّح لدى بعض الأهالي، خاصة مع ظهور تجاوزات بحق السكان. مع أنّ بعض المبادرات سعت إلى إبرام تفاهات مؤقتة لوقف الاقتتال الداخلي، فإنّ المشهد الإدلبي ظلّ عرضة لتحالفات متقلّبة تعتمد على الظروف الميدانية ومصالح الأطراف الداعمة.

في مطلع عام 2017، برزت «هيئة تحرير الشام» ككيان جديد ناتج عن اندماج جبهة فتح الشام (جبهة النصرة سابقًا) مع عدة فصائل أخرى، أبرزها حركة نور الدين الزنكي، وجيش السنّة، ولواء الحق، وجبهة أنصار الدين. هذا الاندماج جاء بعد أيام من تحرك ممائل لعدة فصائل أخرى أعلنت انضمامها إلى حركة أحرار الشام، وهي: ألوية صقور الشام، وجيش الإسلام-قطاع إدلب، وجيش المجاهدين، و«تجمع فاستقم كما أمرت»، والجبهة الشامية-قطاع ريف حلب الغربي؛ وذلك التزامًا منها بأهداف الثورة السورية وحمايتها وفقًا للبيان.<sup>7</sup> ورغم أن بيانات الاندماج كانت تشير إلى توحيد الصفوف ونزذ التفرقة، إلا أن الواقع على الأرض كان مزيدًا من الاقتتال الداخلي بين الفصائل، ولم تكن حالات الاندماج سوى محاولات للفصائل الكبيرة لتوسيع نفوذها وزيادة رقعة سيطرتها؛ ففي شهر يوليو/تموز 2017، تمكنت «هيئة تحرير الشام» من السيطرة على أكثر من 30 بلدة وقرية في محافظة إدلب خلال معارك ضارية ضد فصائل معارضة، أهمها حركة أحرار الشام، أسفرت عن عشرات القتلى والجرحى من الجانبين، وبات قرابة 70 في المئة من محافظة إدلب تحت السيطرة المباشرة لهيئة تحرير الشام، والأهم أنها وضعت يدها على معبر باب الهوى الحدودي مع تركيا الذي يُعدّ موردًا ماليًا مهمًا للغاية، وبذلك تمكنت من تحييد حركة أحرار الشام والفصائل الأخرى، والنتيجة النهائية هي هيمنة هيئة تحرير الشام على إدلب بشكل عام.<sup>8</sup>

بحلول عام 2018، تحوّلت إدلب إلى ما يشبه «الملجأ الأخير» للمعارضة المسلّحة، التي احتضنت الثائرين من مختلف المدن والبلدات السورية، خصوصًا بعد تراجع نفوذ الفصائل في مناطق أخرى من البلاد. وحظيت المحافظة باهتمام دولي كبير، حيث أدّت تركيا وروسيا دورًا بارزًا في عقد اتفاقيات أسهمت في تجنّب هجوم عسكري شامل من قِبَل النظام، وهذا منح إدلب مساحةً زمنية من الهدوء النسبي. في المقابل، وضعت هذه الاتفاقيات محافظة إدلب وريف حلب، الخارجيتين عن سيطرة النظام، تحت وصاية تفاهاتٍ دوليةٍ حدّت من خيارات فصائل المعارضة في التحرك المستقبلي، وأبقت



الباب مفتوحًا أمام موجاتٍ جديدةٍ من التصعيد العسكري من قبل النظام أو المساومات السياسية.

في هذا السياق، استمرت هيمنة هيئة تحرير الشام على إدلب مع محاولات أبي محمد الجولاني (أحمد الشرع)، الذي كان القائد الفعلي للهيئة، الاستمرار في تجربته بـ«توطين الجهاد» والانفكاك كليًا عن تنظيم القاعدة. استند مشروع الجولاني في إدلب إلى تعزيز الحوكمة، وبناء مؤسساتٍ أمنية وقضائية وإدارية، وتوحيد الجهود العسكرية والسياسية تحت قيادة الهيئة؛ لمواجهة التحديات المتزايدة في المناطق الخارجة عن سيطرة نظام الأسد. أثبت الجولاني من خلال تجربة حكمه في إدلب، قدرة عالية على الموازنة بين الإعداد العسكري والمناورة الدبلوماسية والإدارة المحلية، وهذا الأمر جعله شخصية محورية في الصراع السوري.

### إدلب وبناء النموذج

سعى الجولاني إلى تحويل إدلب إلى نموذج عملي للحكم، حيث أبدى اهتمامًا

كبيراً ببناء المؤسسات؛ سواء المدنية أم الأمنية عبر ذراع إداري تمثل بـ«حكومة الإنقاذ السورية» في 2017، التي تولّت إدارة القطاعات الخدمية كالـتعليم والقضاء والخدمات العامة. وعلى الرغم من الانتقادات الواسعة حول مدى استقلالية هذه الحكومة عن الهيمنة العسكرية للهيئة، إلا أنّها أسهمت في خلق حدٍّ من الاستقرار الأمنيِّ مقارنةً بحالات الفوضى التي عمّت مناطق أخرى خارجة عن سيطرة النظام. وبذلك، تحوّلت إدلب تدريجيّاً من منطقة تمردٍ مشتتةٍ إلى نموذجٍ خاصٍّ من الحوكمة المحلية التي تمزج بين السطوة العسكرية ومتطلبات الإدارة المدنية.

مع تثبيت خطوط وقف إطلاق النار باتفاق سوتشي بين الرئيسين التركي أردوغان والروسي بوتين في مارس 2020. بدأ الجولاني بفكرة بناء الدولة جدّياً، متّخذاً من إدلب نموذجاً مصغراً للدولة المرجوة. في هذه الفترة، بدأ الجولاني ببناء شبكة علاقات بين هيئة تحرير الشام والمجتمع المحلي في إدلب.<sup>9</sup> وبناء على نظرية تعبئة الموارد (Resource Theory Mobilization) في علم الاجتماع، فإن نجاح الحركات الاجتماعية لا يعتمد فقط على توافر المظالم، بل على مدى قدرة الحركة على حشد الموارد البشرية والمادية والتنظيمية لدفع أجندتها السياسية. وفي حالة هيئة تحرير الشام (النصرة سابقاً) فإنها كانت في بداياتها امتداداً لتنظيم القاعدة، واستفادت من شبكات الدعم الدولية، سواء في التمويل أم الخبرات القتالية، وأدت الأيديولوجيا السلفية الجهادية دوراً محورياً في جذب المقاتلين الأجانب، وهذا عزّز قوتها العسكرية. في مرحلة التحول نحو الاعتدال، بدأت الهيئة في الانفصال التدريجي عن القاعدة، وتطوير مؤسسات حكم محلية، مثل حكومة الإنقاذ، وذلك ضمن إستراتيجية للاستفادة من الموارد المحلية، ومن ذلك الضرائب والتمويل الذاتي، وفي هذه المرحلة ظهر الجولاني بصورته، وبدأ يتجول بين الناس في الأسواق، ويجتمع مع الناشطين والوجهاء المحليين، «وترك الباب مفتوحاً لتأثير المجتمع المحلي في تعديل سلوك الهيئة وخطابها نحو حالة أكثر اعتدالاً ومحليّة. في هذه المرحلة ظهر طموحه السياسي والسعي إلى الاعتراف والشرعية الخارجية، ومحاولة توحيد الصفّ الداخليّ. فكان إقصاء الأجنحة الأكثر تشدّداً عمليةً مستمرة».<sup>10</sup>

على الصعيد العسكري، أكّد الجولاني انفصاله التام عن الحركات الجهادية العالمية الممثّلة في تنظيمي الدولة والقاعدة من حيث الإدارة والرؤية، وأظهر نموذجاً مختلفاً عن الحركات الجهادية من خلال تجنب أي عمليات عسكرية وأمنية خارج الحدود السورية، مؤكداً هدفه في مواجهة نظام الأسد فقط من جهة، والسعي لإسباغ صبغة وطنية على

قواته العسكرية عبر إنشاء كلية عسكرية تكون نواة لوزارة الدفاع في حكومة الإنقاذ من جهة أخرى. ففي أكتوبر/ تشرين الأول 2021، أصدرت «حكومة الإنقاذ» في إدلب قراراً بإحداث «كلية عسكرية» تهدف إلى تدريب المنتسبين إليها، وتخريج مؤهلين للخدمة في صفوف التشكيلات العسكرية المقاتلة.<sup>11</sup> بعد أقل من عام أقامت حكومة الإنقاذ حفل تخريج للدورة الأولى من منسوبي الكلية العسكرية، حيث جرى تنفيذ عرض عسكري لتخريج 300 ضابط برتبة ملازم بحضور أبي محمد الجولاني الذي عدّ تخريج الدفعة الأولى من ضباط الكلية العسكرية في إدلب «من أهم المفاصل في تاريخ الثورة السورية، وعلامة فارقة نحو عصر للثورة جديد».<sup>12</sup>

بالرغم من التحديات الكبيرة تمكنت هيئة تحرير الشام من تعزيز نفوذها في محافظة إدلب، لتصبح الفصيل المهيمن في المنطقة، معتمدة على هيكلية تنظيمية قوية، وقيادة مركزية ممثلة بأبي محمد الجولاني. ومع ذلك، ظلّ المشهد معقداً من جهة تأمين اعترافٍ دولي أو دعم شعبيٍّ مطلق؛ فقد جعل الماضي الجهاديِّ للهيئة وسياساتها الأمنية المتشددة كثيراً من الأهالي يحافظون على حذرهم منها.

### ردع العدوان وتحرير دمشق

منذ اتفاق وقف إطلاق النار في إدلب في مارس/ آذار 2020م برعاية تركية- روسية، توقفت العمليات العسكرية واسعة النطاق بين فصائل المعارضة وقوات النظام. إلا أن عمليات القصف والغارات الجوية المتفرقة لقوات النظام على إدلب لم تنته حتى 26 تشرين الثاني/ نوفمبر 2024م قبل يوم واحد من انطلاق معركة ردع العدوان، حيث قصفت مدفعية نظام الأسد مدينة أريحا في محافظة إدلب، وأسفر القصف عن مقتل وإصابة 16 شخصاً جلهم من الأطفال.<sup>13</sup> في المقابل استعدت فصائل المعارضة المسلحة المتمركزة في إدلب وعلى رأسها هيئة تحرير الشام لمعركة حاسمة مع نظام الأسد، من خلال تعزيز قدراتها القتالية، وإصلاح هياكلها العسكرية، وإعداد قوات انغماسية خاصة، والتركيز على ترسيخ بنية تنظيمية صارمة حولتها إلى قوة عسكرية شبه نظامية، وحدثت من الانقسامات المبنية على ولاءات عشائرية أو مناطقية، وعززت ولاء المقاتلين لكيان هيئة تحرير الشام المركزي. بالإضافة إلى ذلك، بدأت هيئة تحرير الشام منذ 2017 برنامجاً لتصميم طائرات مسيرة لأغراض عسكرية بتقنيات بسيطة، إلا أن كبر حجمها وبساطة نظام الاتصال فيها جعلها سهلة الاستهداف. تطور المشروع بشكل تدريجي ليحقق نقلة نوعية بعد اندلاع الحرب الروسية- الأوكرانية 2022، إذ تمكنت هيئة تحرير الشام من

الحصول على نماذج من مسيرات صغيرة الحجم ومتطورة، فقامت بدراستها، وتحليل طريقة عملها، وآلية تصميمها، ثم قامت بإجراء تعديلات تقنية عليها؛ لتفصي في النهاية إلى إنتاج مسيرات خاصة بها أطلقت عليها اسم «شاهين» أدت دوراً مهماً في معركة ردع العدوان.

في صبيحة 27 تشرين الثاني / نوفمبر 2024، أسست فصائل المعارضة في إدلب غرفة عمليات مشتركة، وأطلقت عملية عسكرية ضد مواقع قوات النظام وحلفائه باسم «ردع العدوان». ورغم الحشد الكبير للطرفين في ريف حلب، بعد تسرب شائعات عن استعداد هيئة تحرير الشام لشن هجوم واسع النطاق ضد قوات النظام في مدينة حلب قبل أسابيع من انطلاق العملية، إلا أنها كانت مفاجئة بقوتها وسرعة تقدمها، حيث حققت فصائل غرفة عمليات ردع العدوان تقدماً كبيراً، وأظهرت تماسكاً قوياً وتنظيماً جيّداً وانضباطاً عالياً بتحريرها أكثر من 20 بلدة وقرية في ريفي حلب وإدلب، إلى جانب الموقع الإستراتيجي الأهم في الطريق إلى حلب، الذي هو قاعدة الفوج 46 بعد ساعات من بدء العملية، لينجح الثوار في 29 تشرين الثاني / نوفمبر 2024 بدخول مدينة حلب والسيطرة على معظم أحيائها، ومن ذلك الحمدانية وحلب الجديدة والجميلية وصلاح الدين، فضلاً عن مواقع إستراتيجية كالقلعة ومقر المحافظ. أسهم الانهيار السريع لقوات النظام في حلب بدفع المعارضة نحو التوجه إلى حماة، حيث حققت تقدماً سريعاً، وحررت عشرات البلدات والقرى الرئيسة قبل نهاية يوم 30 تشرين الثاني / نوفمبر. إلا أن النظام من جهته كان قد عزز انتشار قواته حول حماة في مناطق جبل زين العابدين، كما شنت روسيا غارات جوية عنيفة، منها غارة على مخيم للنازحين في إدلب، وأخرى على مستشفى جامعة حلب أسفرت عن عشرات القتلى والجرحى.<sup>14</sup> كانت معارك حماة هي الأضعف، لكنها لم تمنع من حسم الأمور لمصلحة غرفة عمليات ردع العدوان التي دخلت مدينة حماة بحلول 5 كانون الأول / ديسمبر. بعد يوم واحد بدأت الانهيارات تتوالى في صفوف قوات النظام، إذ انسحبت بشكل مفاجئ من السويداء والقنيطرة نحو دمشق. وفي يوم 7 كانون الأول / ديسمبر حررت فصائل المعارضة مدينة حمص، وفي اليوم نفسه تقدمت نحو ريف دمشق الجنوبي، وبقدوم فجر يوم 8 كانون الأول / ديسمبر كانت العاصمة محاصرة بقوات المعارضة القادمة من الجنوب من جهة درعا والسويداء، وشمالاً من قوات غرفة عمليات ردع العدوان، لتتحرر دمشق، ويتمكن مقاتلو غرفة العمليات من دخول النقاط الحيوية، مثل قصر الشعب، ومبنى الإذاعة والتلفزيون، ورئاسة الأركان، بعد فرار بشار الأسد وحاشيته.



فاجأ التقدم السريع لقوات المعارضة وانهيار النظام مختلف الأطراف محلياً وإقليمياً ودولياً، ويمكن تفسير هذا التحوّل الدراماتيكي في معادلة الفواعل السورية بمجموعة من العوامل التي جاءت لمصلحة المقاتلين القادمين من إدلب بشكل أساسي مدفوعين برغبة قوية في تحرير مدنهم وقراهم، منها مثلاً على الصعيد المحلي: توحيد القرار العسكري ضمن غرفة عمليات ردة العدوان التي عكست رغبةً جادةً في تجاوز الانقسامات الفصائلية، وهذا جعل العملية العسكرية أكثر فعالية وسرعة، إلى جانب تأييد شريحة واسعة من السكان في إدلب العملية العسكرية، وتقديم الأهالي الدعم اللوجستي والمعلوماتي للمقاتلين، وهذا عزّز قدرة الفصائل على التحرك، وكسر دفاعات النظام. بالإضافة إلى استغلال المعارضة إجهاد النظام وتغلغل الفساد فيه، إذ عانى نظام الأسد من حالة متراكمة جرّاء تعدّد الجبهات وطول أمد الحرب، وهو ما انعكس على معنوياته، واستعداد جنوده للقتال. وزاد الطين بلّة تفشّي الفساد في المراتب العليا للجيش والأجهزة الأمنية، وتورط شبكات داخل قوات النظام في تجارة المخدرات، وثبتت مسؤوليتها عن إنتاج ما يقارب 80% من الكبتاغون العالمي.<sup>15</sup> وعلى الصعيد الإقليمي،

فإن التدهور الكبير للمليشيات الإيرانية، وقوات حزب الله اللبناني الذي واجه ضغوطاً متصاعدة وتعرض لخسائر جسيمة نتيجة الضربات الإسرائيلية المكثفة - قلل من قدرتها على تقديم دعم فعال للنظام في معركته الأخيرة. علاوة على انكفاء موسكو على أولوياتها الإستراتيجية في حربها على أوكرانيا، فضلاً عن إدراكها عدم جدوى الاستمرار في دعم النظام مع الانهيار المتسارع لقواته على الأرض.

## الخاتمة

شهدت الساحة السورية تغيرات جوهرية في مسيرة الثورة من إدلب إلى دمشق، حيث أدت هيئة تحرير الشام وزعيمها أحمد الشرع دوراً محورياً في إعادة تشكيل المشهد العسكري والسياسي. إن التداخل بين العوامل البنوية (الطابع الريفي، والموقع الحدودي، والمعارضة التاريخية لنظام الأسد) والعوامل الظرفية (تدخلات إقليمية ودولية، وانهيار سلطة الدولة المركزية، وصعود التيارات الجهادية) صاغاً واقعاً ثورياً متفرداً في إدلب، وصعباً من الوصول إلى صيغة توافقية تضمن مصالح جميع الفاعلين الثوريين، خاصة مع تباين الأيديولوجيات والأهداف لدى الفصائل المتناحرة. ومع ذلك، ظلت إدلب تحتفظ بدور رمزي باعتبارها «درع الثورة الأخير»، وقاعدة انطلاق عسكرية وسياسية وفرت للمعارضة نقطة توازن نسبي أمام النظام حتى ديسمبر 2024، تاريخ إسقاطه. ولعل السؤال المطروح اليوم هو: هل تجربة هيئة تحرير الشام في إدارة محافظة إدلب مهّدت لمرحلة جديدة من إعادة بناء الدولة السورية على أسس جديدة، أم أنّها كرّست واقعاً أكثر تجزئةً واستبداداً؟ في نهاية المطاف، تُبين حالة إدلب كيف يمكن لمنطقة واحدة أن تعكس مختلف مفاصل الثورة السورية وتحولاتها، والمعارك الميدانية المحتدمة، وتجارب الحكم الإسلامي المحلي، والصفقات الإقليمية والدولية المتقلبة.

من إدلب إلى دمشق، قصة مسيرة أسفرت عن إسقاط نظام بشار الأسد في 8 كانون الأول/ديسمبر 2024 بعد أربعة عشر عاماً من الهتاف الأول، معلنة عن نهاية حقبة طويلة من القمع والاستبداد، وفتح صفحة جديدة من التحديات والآمال. كما أن التحولات القيادية داخل هيئة تحرير الشام، من أبي محمد الجولاني إلى أحمد الشرع، كانت عنصراً حاسماً في توحيد صفوف المعارضة، وإرساء أسس تحرير العاصمة على أمل الانتقال بسلاسة إلى مرحلة جديدة مبنية على العدالة والمصالحة.

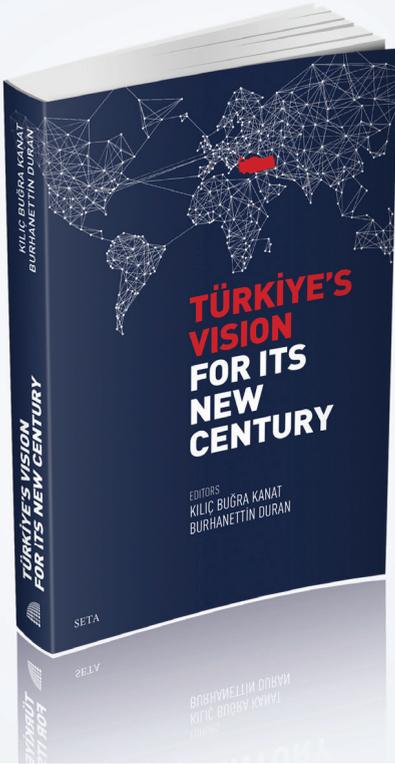
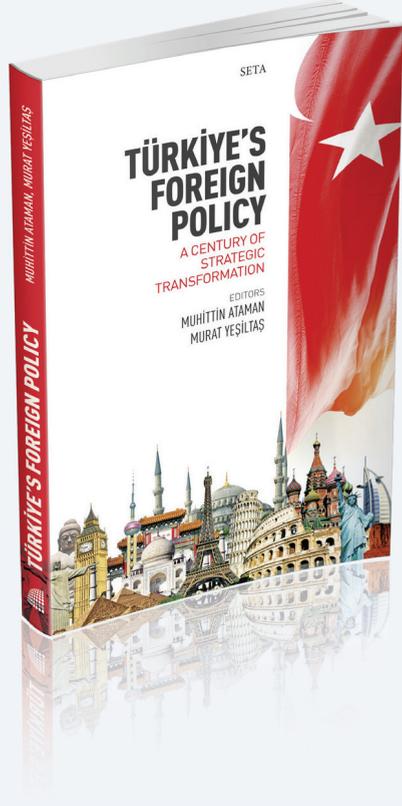
## الهوامش والمراجع:

1. إدلب: محافظة همشها نظام الأسد طويلاً... واحتضنت الثورة ضده، مصطفى الدباس، المدن، 2025.1.1  
<https://2u.pw/T1pDNsoB>
2. القدس العربي، «الموك» غرفة العمليات الدولية المشتركة التي تقدّم الدعم للمعارضة المسلحة المعتدلة، 2014.10.26  
<https://2u.pw/KuXkJH>
3. فراس فحام، مركز الجزيرة للدراسات، مستقبل إدلب في الصراع السوري ومصالح الجهات الدولية الفاعلة، 2021.06.15  
<https://studies.aljazeera.net/ar/article/5037#a2>
4. ما هي جماعة «جبهة النصرة» السورية؟، BBC عربي، 2012.05.13  
[https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2012/05/120513\\_nusra\\_syria](https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2012/05/120513_nusra_syria)
5. الجولاني يعلن فك الارتباط بـ«القاعدة» وتشكيل «جبهة فتح الشام»، العربي الجديد، 2016.07.28  
<https://2u.pw/IFFY3BcbO>
6. المصدر السابق
7. «فتح الشام» تندمج مع أربع فصائل بسوريا، الجزيرة نت، 2017.01.28  
<https://2u.pw/t5oB2z>
8. «النصرة» تفكك «أحرار الشام» وتسيطر على معظم إدلب، الشرق الأوسط، 2017.07.22  
<https://2u.pw/cR3pIxUtE>
9. ليلى الرفاعي وأحمد أبازيد، من الجولاني إلى الشرع.. تحولات كثيرة وقائد واحد، مجلة الفرائس، 2025.01.16  
<https://alpheratzmag.com/experience/20250101601/>
10. المصدر السابق
11. في ظل التهديدات بشن عملية عسكرية على إدلب... «حكومة الإنقاذ» تقرر إحداث «كلية عسكرية» تابعة لها في إدلب، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 2021.10.21  
<https://2u.pw/dECfb4jP>
12. نيم غوراني، ما رسائل العرض العسكري لتخريج ضباط من الكلية العسكرية في إدلب؟، تلفزيون سوريا، 2022.09.7  
<https://2u.pw/8qNxMIbk>
13. جُلبهم من الأطفال.. استشهاد وإصابة 16 مواطناً بقصف لقوات النظام على مدينة أريحا، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 2024.11.26  
<https://2u.pw/gaeLerak>
14. القصة الكاملة لسقوط نظام الأسد في 12 يوماً، الجزيرة، 2024.12.9  
<https://2u.pw/JFbDSiRi>
15. كيف تحوّلت سوريا إلى مركز عالمي لإنتاج الكبتاغون؟، CNBC العربية، 2024.12.9  
<https://2u.pw/z0GBkZsz>

## Türkiye's Foreign Policy | A Century of Strategic Transformation

June 2024 | Muhittin Ataman, Murat Yeşiltaş

*This book examines the century-long transformation of Turkish foreign policy, with each chapter dedicated to analyzing different regions and explaining the priorities and strategies of Türkiye within the context of its historical transformation. It also expounds upon the vision and objectives outlined in the Century of Türkiye, declared on October 24, 2022, while also making an endeavor to predict the realization of the goals set forth.*



## Türkiye's Vision for Its New Century

May 2024 | Kılıç Buğra Kanat, Burhanettin Duran

*President Erdoğan's statement in March 2024, "neither the world is the old world nor Türkiye is the old Türkiye", encapsulates the essence of the Century of Türkiye vision, which aims to transform Türkiye in accordance with both internal and external requirements. Over the past two decades of AK Party rule, Türkiye has achieved remarkable and enduring progress across its social, cultural, political, and economic spheres.*